المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:07، العدد:02 (2023)، ص147-158

الطوطمية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

Totemism in the Arabian Peninsula before Islam

لحسن براهيم
جامعة تيارت (الجزائر)
brahimibrahim959@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/10/14
تاريخ القبول:
2023/11/16

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الطوطمية
- ✓ المُقدَّس
- ✓ العبادة
- ✓ الغيب

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة العقائد العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية، وتجلياتها في الحياة الدينية والاجتماعية العربية، ومعرفة رموزها ودلالاتها، كما يُبرز المقدسات العربية القديمة وخاصة "**الطوطمية**" التي ظهرت عند العرب قبل الاسلام، واعتبرت مقدسة على قدر عال من العبادة، كما يوضح الجانب الغالب على المعتقد الديني والاجتماعي.

ومن النتائج المُتوصل اليها أنَّ العرب القدماء آمنوا بالطوطمية ودافعوا عنها، فقدَّسوا الحيوانات والنباتات والاشجار والجمادات، كما آمنو بأن الطوطمية تجلب لهم الخير وتدفع عنهم الشر، كما حرموا على أهل الطوطم الزواج من بعضهم البعض.

Article info

Received:
14/10/2023
Accepted:
16/11/2023

Key words:
- ✓ Totemism
- ✓ The Sacred
- ✓ Worship
- ✓ The Unseen

Abstract:

This research aims to know the ancient Arab beliefs in the Arabian Peninsula, and their manifestations in Arab religious and social life, and to know their symbols and connotations. It also highlights the ancient Arab sanctities, especially “Totemism” that appeared among the ancient Arabs and was considered sacred with a high degree of worship, as the aspect explains. Predominant religious and social belief.

Among the results reached is that the ancient Arabs believed in Totemism and defended it. They sanctified animals, plants, trees, and inanimate objects. They also believed that Totemism brought them good and warded off evil. They also forbade the people of the totem to marry each other.

مقدمة

إنَّ دراسة متأنية في العقائد الدينية العربية في شبه الجزيرة العربية تعيد إلى الأذهان موضوعا مألوفا من العبادة التي عرفتها المنطقة العربية قبل الاسلام، وهو المنطلق الأول لما يُعرف بالدين، وإن تَمَثُّلَاته شكلت مجموع العقائد القائمة أنداك، فقد شملت العقائد التوحيدية والعقائد الوضعية الوثنية؛ وقد تناغمت العقائد الدينية في محيط اجتماعي متجانس، تقبل فيه المجتمع هذا التنوع بنوع من التعايش، إذ شكلت فيه المنظومة العقائدية المتنوعة فسيفساء جميلة في الحياة الدينية في شبه الجزيرة العربية القديمة، وقد عرف العرب أنواعا عديدة من المقدسات والعبادات، حيث اختلفت هذه المقدسات ما بين رسائل سماوية وديانات وضعية، وما بين مقدسات تسمو فوق روح البشر، أُصطلح على تسميتها الطوطمية.

تعبر الطوطمية من الاعتقادات السائدة لدى العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية، حيث لا تخلو مملكة ولا دولة من هذا الاعتقاد، ومن هذا المنطلق كان علينا طرح الاشكالية التالية: **ما مفهوم الطوطمية؟ وكيف نشأت وتطورت عند العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية؟ وفيم تمثَّلت العبادة الطوطمية؟**

والجدير بنا طرح مجموعة من الفرضيات منها: **هل الطوطمية دين أم اعتقاد، وهل هي جديدة الظهور أم قديمة قدم البشرية، وهل ظهرت في مجتمع واحد أم في كل المجتمعات القائمة آنذاك؟** ومن أهداف هذا البحث هو معرفة مقدسات العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية، وفصل المقدَّس عن العبادة وعن الألوهية، وهل تزامن ظهورها في وقت واحد ام ظهرت بالتدريج، كما يهدف إلى معرفة التصور الانساني بشأن الطوطمية.

وللإجابة على الاشكالية والفرضيات كان لابد من توظيف المنهج التاريخي التحليلي، حيث حللت مقدسات العرب القدماء من الناحية العقائدية الدينية ومن الناحية الاجتماعية، ووضحنا الفروق القائمة على هذه الاعتقادات، وحتمت علي منهجية البحث فهم الطوطمية وعقائدها القائمة على المقدسات التي انتشرت بين العرب القدماء، ومعرفة الانواع الطوطمية التي انتشرت عند العرب قبل الاسلام.

1. الطوطمية

1.1. مفهوم الطوطمية

هي ديانة مركبة تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يُسمَّى "**الطوطم**" (الماجدي، 2016، صفحة 146)، والطوطمية: منبعًا لجميع الديانات القائمة على عبادة الحيوانات والنباتات، التي يمكن ملاحظتها لدى الشعوب القديمة (دركهايم، 2019، صفحة 123)، وكلمة "**طوطم**" أخذت عن المصطلح: (Ototemom) وهي كلمة من كلمات (الأُوجِيبْوَا– Ojibwa)، وهي لغة أَلْغُونْكِيَة يتكلَّم بها هنود البحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية (Gallatin, 1836, p. 110)، وقد أدخلت إلى الغرب من طرف (جون لونغ) سنة 1791، لكن الاستخدام الأنتروبولوجي لها يعود إلى (ماك لينان) بين سنتي (1869 – 1870م) (Long, 1791, p. 106).

والطوطم عبارة عن حيوان أو نبات أو صنمًا تتخذه عشيرة أو قبيلة رمزًا يُميِّزها عن بقية العشائر أو القبائل، ويستوي في ذلك اليونان والرومان والعبرانيون والعرب وغيرهم (جواد، 1950، صفحة 308)، ويَتَسَمَّى أفرادها كافة باسمه لاعتقادهم بأنه جِبرهم المقدس وحاميهم، ويشعرون أنهم يرتبطون به ارتباطًا خاصًا، وتقوم عقائدهم وطقوسهم الدينية جميعها على تقديس الطوطم (دركهايم، 2019، صفحة 131)، وحين يكون الطوطم حيوانًا فإنه لا يُصطاد ولا يُؤكل بل إنَّ أتباعه يقدمون له الأكل، ويدفنون من يموت منه أحيانًا (المالكي، 2007، صفحة 140)، والطوطم رفيق ومساعد مع الأرواح الخارقة، وهو مقدس في المناسبات، حيث تتخذه الجماعات كَهَوِيَّة لها ويحرم لمسه وتحطيمه (عزت، 1956، صفحة 42)، وقد تعود أصول الطوطم إلى أحد الأجداد الأوائل من الشامان، وقد كُلف طبيب القبيلة وساحرها بتنمية العلاقة بين الأفراد والطوطم (دركهايم، 2019، صفحة 131).

وقد عرَّف عبد الواحد وافي الطوطمية بأنَّها: "**نظام أو عقيدة مبنية على أصل حيواني أو نباتي أو جماد، اتخذته العشيرة رمزًا إلهيًا لها ولقبًا يُعَرِّف جميع أفرادها، ويعتقدون أنه خالقهم وأنَّهم من صلبه، فلا يُؤكل ولا يُقتل ولا يُؤذى**" (وافي، 1959، صفحة 8).

وقد شكك بعض المؤرخين والعلماء بوجود الطوطمية، واعتبرها البعض الآخر بداية أولية لديانة أو ثقافة وليست قائمة بذاتها، حيث ضمت اعتقادات الإيمان بوجود أرواح ذات سلطة دينية على الانسان، واعتقد بعض الأنثروبولوجيين أن ظاهرة عدم تدمير الطوطم قد انطبقت على كل الطبيعة (فرويد، 1983، صفحة 124).

والطوطمية: نظرية وضعها "**ماك لينان**" "**مكلينان**" المتوفى سنة 1881م، خلاصتها:

- الطوطمية دور مَرَّ على القبائل البدائية، وهي لا تزال بين أكثر الشعوب إغراقًا في البدائية والعزلة.
- قوامها اتخاذ القبيلة حيوانًا أو نباتًا، كوكبًا أو نجمًا أو شيئًا آخر من الكائنات المحسوسة أبًا لها، تعتقد أنها متسلسلة منه وتُسمى باسمه (زيدان، 2013، صفحة 254).
- تعتقد تلك القبائل أن طوطمها يحميها ويدافع عنها، أو هو على الأقل لا يؤذيها.
- تقدس القبيلة طوطمها وتتقرب إليه وقد تتعبد له.
- الزواج ممنوع بين أهل الطوطم الواحد، ويذهبون إلى الزواج من قبائل غريبة عن قبيلة الطوطم المذكور، وهو ما يعبر عنه بـ (Exogamy) في اللغة الإنجليزية، إذ يعتقدون أن التزاوج من بين أفراد القبيلة الواحدة ذو ضرر بالغ ومهلك للقبيلة، لذلك يتزوج رجال القبيلة نساءً من قبيلة أخرى غريبة، لا ترتبط بطوطم هذه القبيلة، والمخالف لهذه القاعدة، أي الذي يتزوج امرأة من قبيلته يعرض نفسه للعقوبات قد تصل إلى الحكم عليه بالموت (زيدان، 2013، صفحة 254).
- الأبوة غير معروفة عند أهل الطوطم، ومرجع النسب عندهم إلى الأم.

- لا عبرة عندهم إلى العائلة، والقرابة هي قرابة الطوطم، فأهل الطوطم الواحد إخوة وأخوات يجمعهم دم واحد (زيدان، 2013، صفحة 254).

2.1. نشأة وتطور الطوطمية

كانت الطوطمية في نظر العرب القدماء مقدَّسة، وقد تنوعت بتنوع المعتقدات والعبادات، وكانت مستوحاة من البيئة المحيطة بالإنسان، وراقب الانسان البدائي بيئته بكل ظواهرها ونسج بخياله ظواهر عدة، حيث ظن أن أباه الذي يظهر له في الحلم هو هذه القوة الخفية فَعَبَدَهُ وذبح له القرابين، واتخذ من قبره مزارًا، وبذلك نشأت عبادة ارواح الأسلاف، والتي هي عبارة عن عبادة شيء ما تقمصته روح، وكان هذا الشيء عبارة عن شجرة او حيوان أو جماد، ثم تابعت هذه الأشياء تطورها لتأخذ شكل تماثيل ثم تطورت لتصبح عبادة ثابتة، ليصبح فيما بعد لكل قبيلة جد قديم تجعله رمزا وإلهًا لها (بري، 2010، صفحة 81)، ومع تطور المعرفة عند الانسان البدائي وارتقائه أخذ هذا الانسان يتصوَّر أن روح هذا الجد يمكن أن تحل في حيوان أو شجرة أو جماد، فانتقل إلى عبادة الحيوانات والأشجار والجمادات وأصبح لكل قبيلة حيوانها ونباتها الخاص الذي تعبده، ومن هنا نشأت فكرة "**الطوطم**" (رياض، 2021، صفحة 13)، ومع تطور الفكر الانساني تعددت القوى وتبدّلت بما يتوافق مع تعدد حاجات الإنسان وبهذا نشأت أولى الأفكار التي كونها الانسان بطبيعته (فرويد، 1997، صفحة 11).

يرى بعض المؤرخين وعلماء الإنسان أن الطوطمية ما هي إلَّا ممارسات تقليدية تخلق نوعًا من التوازن البيئي لظمان الاستخدام الرشيد للحيوانات والنباتات والجمادات، في حين يعتبرها البعض الآخر أنَّها بداية أولية لديانة أو ثقافة وليست ديانة قائمة بذاتها (Gumo, 2012, p. 527)، وضمت الطوطمية اعتقادات منها الايمان بوجود أرواح تسيطر على الطبيعة بطريقة أو بأخرى كان لا بد من نيل رضاها، ومن هنا كان بزوغ معتقد الآلهة اعتمادًا على عبادة مظاهر الطبيعة، ومن المحتمل أن تكون الطوطمية هي الشكل الأول للدين (الهاشمي، 1963، صفحة 158).

2. الطوطمية عند العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية

يرى المعتقدون بالطوطم بوجود روابط دموية بين أفرادها، أي بوجود صلة رحم بينها؛ والرابط هو ذلك الطوطم الذى تنتمى الجماعة إليه وتلتف حوله؛ ليكون حاميها والمدافع عنها في وقت الشدائد والمحن، ومن أصحاب هذا المذهب من لا يذكر اسم الطوطم، بل يُكنى عنه، ويحوز أن يكون ذلك خوفًا منه، أو احترامًا له، وقد يرسم له شعارًا تحمله الجماعة وأفرادها، ولها قوانين وآراء فى موضوع الزواج الذى تترتب عليه قضية القرابة وصلات الرحم (جواد، 1950، صفحة 190).

إنَّ الطوطمية في نظر القبائل العربية مقدسة فلا يجوز صيدها أو ذبحها او قتلها أو أكلها قطعها أو إلحاق الأذى بها، وكان في بعض الأحيان يتوسَّع مفهومها فيشمل بعض مظاهر الطبيعة مثل المطر والنجوم والكواكب (خان، 1937، صفحة 106).

إنَّ تعليق بقايا الحيوانات على أجساد الناس ما هي إلَّا مخلفات العقيدة الطوطمية، لاعتقاد العرب القدماء أنَّها تطرد الأرواح الشريرة التي تنازع الإنسان في حياته، وخاصة في الاوقات العصيبة التي تصيب الانسان، لذلك لجأ العرب القدماء بتغيير اسماء بعض الصبية إلى أسماء حيوانات تنفر القوى الشريرة منها (برو، 2001، صفحة 291)، ويؤمن أصحاب الاعتقاد الطوطمي بأنَّ الطوطم لا يؤذي أتباعه فلا يخافون منه، كما أنَّهم يؤمنون بإنذاره لهم إن أحس بوقوع خطر على أتباعه وذلك بعلامات واشارات على نحو ما يُقال له (الزجر والطيرة والفأل)، وهذا ما جعل العرب القدماء في شبه الجزيرة يتَّخذون الاصنام التي اقيمت على صور الحيوانات وعلى هيئة البشر، وعلقت الخيوط والتمائم على الاشجار والنباتات والجبال والأخشاب، واعتقدوا بأنَّ الطوطم هو عمودها الفقري، فهو في المقام الأول سلف العشيرة وفي مقامها الثاني روحها الحامي لها وولي نعمتها (جواد، 1950، صفحة 170)، وينتقل الطوطم بالتوارث بين الأباء والأبناء ولا يرتبط لا بأرض ولا بموضع معين، فأتباع الطوطم الواحد يمكن أن يعيشوا متفرقين عن بعضهم البعض (فرويد، الطوطم والتابو، 1983، صفحة 24).

وقد لاحظ (روبرتسون سميث Robertson Smith) أن في أسماء القبائل عند العرب أسماء كثيرة هي أسماء حيوان أو نبات أو جماد، فاتخذ من هذه الأسماء دليلًا على وجود "**الطوطمية**" عند العرب، وعلى أثرها في القدماء أسماءً مثل: بنو كلب، وبنو كليب، والضبع، وبكر، وبني أسد، وبني ثور، وبني جحش، وبني ضبة، وبني جعل، وبني جعدة، وبنى يربوع، وقريش، وعنزة، وبني فهد، وبني عقاب، وبني أوس، وبني حنظلة، وبني ثعلب، وبني عجل، وبني هوزن...، وما شاكل ذلك من أسماء لا يمكن في نظره إلَّا أن تكون أثرًا من آثار الطوطمية، ودليلًا ثابتًا واضحًا على وجودها عندهم في القديم (Robertson, 1901, p. 126).

وقد طبَّق (روبرتسون سميث) نظرية "**الطوطمية**" على العرب القدماء فلاقت ترحيبًا عند بعض المستشرقين، كما لاقت معارضة من بعضهم، وقد عارضه بعض المؤرخين العرب أمثال (جورجى زيدان) في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، وبيَّن أسباب اعتراضه على ذلك (جرجي، 2017، صفحة 218).

والطوطمية هي قاسم ديني مشترك بين أفراد القبائل العربية في الفترة القديمة، وعند معظم الشعوب المعاصرة للقبائل العربية، وفي ذلك يقول سيغموند فريد: "**وثمة ثمار وبقايا صعبة التفسير تسمح بالاستنتاج بأن الطوطمية وُجِدت قديما لدى معظم الشعوب القديمة ولا تزال بعض الشعوب الحديثة تعتنق الطوطمية في أشكال بالغة التنوع من والتجرؤ والارتباط بمؤسسات دينية واجتماعية أخرى...**" (فرويد، الطوطم والحرام، 1997، صفحة 11).

لم تقتصر ديانة العرب في الفترة القديمة في شبه الجزيرة العربية على زيارة المعابد أو الأماكن المقدَّسة التي يؤمنون بها، بل تطور الأمر إلى السؤال حول المستقبل الآتي لهم من الرزق والسعادة والكوارث الطبيعية والأمطار وغيرها ومن الأمور الغيبية، فكلفوا سدنة المعابد بتلك المهمة باعتبارهم الأقرب للآلهة وهم خدامها، وقد تحدَّث عبيد بن الأبرص عندما ضاع جمله حيث قال: "**رَأيتُ ذات يوم حية فسقيتها الماء، فلما**

ظلَّ جملي وتاه في الصحراء أَرْشَدَتنِي تلك الحية إلى مكانه فذهبت إلى تلك المكان فَوَجَدتُّه" (عرفة، 1995، صفحة 184).

1.2. عبادة الأسلاف

إنَّ عبادة الأسلاف كانت من أكثر العبادات انتشارًا لدى سكان شبه الجزيرة العربية القديمة وأقربها إلى الظرف المكاني والمجتمعي، ويبدو أنَّ تلك العبادة كانت غايةَ في التطور في العصور القديمة، حيث كان ظرفُ القبيلة لا يسمح بأي تفكُّكٍ نظرًا لانتقالها الدائم، وهو التنقُّل الذي كان يلزمه اتحادًا بين أفرادها، تمَّ تَمَثُّله في سلَف القبيلة وطوطمها الراحل الغابر، فأصبح هو الإله المعبود وهو الذي يكفل لها الحماية والتماسك، بوصفها وحدةً مقاتلة متحركة دومًا، فاستبدلت مفهوم الوطن بمفهومَ الحمى، وانصهر جميعُ أفراد القبيلة فيه (القمني، 2017، صفحة 277)، ومن هنا كان الربُّ هو سيدَ القبيلة الراحل القديم، الذين تَمَثَّلُوه بطلًا مقاتلًا أو حكيمًا لا يُصارَع، ومن هنا تعدَّدت الأربابُ بتعدد القبائل، وكان العربي في قبيلته لا يَعبدُ في العادة ولا يُبجِّلُ سوى ربِّه الذي هو رمز عزَّتِه ورابط قبيلته، ولا يعترف بأرباب القبائل الأخرى، وكان العربي في قبيلته يأنف أن يحكمَه أحدٌ من خارج نسبِهِ؛ لأن نسبَه هو ربُّه، هو سلفه، هو ذاته، هو كرامته وعزته (القمني، 2019، صفحة 277)؛ لذلك كانت عبادةُ الأسلاف أحدَ أهم العوامل في تفرُّقِ العرب القبلي، وعدم توحدهم في وحدة مركزية تجمعهم (برو، 2001، صفحة 287).

ولم يكن الاعترافُ بآلهة أخرى لقبائلَ أخرى إلَّا فيما بعد، بعد دخول المصالح التجارية للمنطقة، وظهور مصالح لأفراد في قبيلة ترتبط بمصالح لأفراد في قبيلة أخرى، مما أدَّى لاعتراف متبادل بالأرباب، وهو الأمر الذي بدأ يظهر خاصة في المدن الكبرى بالجزيرة على خطِّ التجارة، في العصر القديم، كما حدث في مكة والطائف ويثرب وغيرها (ديتلف، 1949، صفحة 200).

يرى بعض المؤرخين أنَّ عبادة السلف تقود اتباعها في بعض الأحيان إلى الاعتقاد بأنَّ قبيلتهم تنتمي إلى جد واحد أصله حيوان أو نبات أو جماد أو من النجوم وهذا ما يجعل أن هذه العقيدة هي عقيدة طوطمية في حد ذاتها (الفيومي، 1994، صفحة 372)، ويتجلى تقديس العرب لأسلافهم وذلك بمخاطبتهم بالأرباب، واتخاذ قِبَابًا لهم رمزًا للسيادة والجاه، وترجع جذور هذا التنظيم إلى عهد (نزار بن معد) حيث كانت له قبة حمراء، فلما حضرته الوفاة أوصى بنيه وقسَّم ماله بينهم، ثم قال لهم: "**يا بني هذه القبة، وهي قبة آدم حمراء وما أشبهها إلى مضر، فسميت مضر الحمراء**" (خان، 1937، صفحة 106).

وكان من اثار العرب القدماء في عبادة السلف حلق الرأس واحداث جراحًا في الجسد واحتفالات دفن الموتى ولبس المسوح والعناية بالقبور واقامة الشعائر الدينية عليها، واتخاذ مزارات لسادتهم يقسمون عليها ويلوذون بصاحب القبر ويحتمون به (جواد، 1950، صفحة 48)، ويرى جواد علي أن الآراء والنظريات والمعتقدات الخاصة بطوطمية الأسلاف لا تزال في مراحلها، وهي موضع جدل بين العلماء لأنها قائمة على أساس الملاحظات والتجارب التي حصلوا عليها من دراساتهم لأحوال المجتمعات (جواد، 1950، صفحة 50).

ومن هذه الاعتقادات والممارسات التعبدية، يمكننا تقسيم عبادة الأسلاف التي مارسها العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أصناف: (عبادة النفس أي نفس الانسان أو الحيوان وخاصة منه عبادة الأموات، وعبادة الارواح التي تزور الشخص في بعض الحالات فيُلاحظ كأنَّه مجنون، وعبادة الأرواح التي تُحمل في المظاهر الطبيعية إما بصورة مؤقتة أو بصورة دائمة)، والعرب القدماء يعظمون الملوك والرؤساء والأمراء، ومن هنا تعد عبادة الأسلاف من العبادة الطوطمية وهي فرع من أهم فروع الدين.

2.2. تقديس الحيوانات

قدَّس العرب القدماء مجموعة من الحيوانات، لأهميتها في حياتهم ومعيشتهم أو لخشيتهم منها، واختلف هذا التقديس فجعلوا قسما من آلهتهم على هيئة حيوانات، وتسموا بأسماء قسما آخر تيمنا بها، واختلف تقديس الحيوان من مكان لآخر، فعندما نقول مثلا أن حيوان مقدَّس في مكان ما فلا يعني بالضرورة أنه مقدس في كامل شبه الجزيرة العربية، ويرى بعض المؤرخين أن تقديس العرب القدماء للحيوانات يدل على وجود المذهب الطوطمي وانتشاره عندهم، ومن الحيوانات المقدسة نذكر:

3.2. الثور

كان الثور من أكثر الحيوانات قدسية عند العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية، فقد اقترن الثور عندهم بآلهة الخصب، وفي ارتقائه إلى معبود عند بعض العرب بدلالة دخوله في تركيب بعض الأسماء مثل (عبد ثور)، ومنهم أُبي بن كعب بن ثور (كندر، 2013، صفحة 80)، واجتمع بطن من قبيلة همذان على عبادة البقر، فضلا عن إله القمر الذي كان يرمز له بهيئة ثور له قرنين وقد عبته بعض شعوب شبه الجزيرة العربية، والواضح أن رمز إله القمر بالثور لدلالته على القوة والقدرة التي يتمتع بها الثور (ديتلف ن.، 1949، صفحة 208)، وما يؤكد قدسية الثور ما ورد في قصة خلق الكون، حيث كان الثور أساسها، وقد ورد في ذلك: "**... فلم يكن للصخرة قرار، فخلق الله عزَّ وجلَّ ثورًا عظيما له اربعة آلاف عين، ومثلها آذان، ومثلها أنوف وافواه وألسنة وقوائم... وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرنه، واسم هذا الثور كيوثا**" (الدميري، 2003، صفحة 260)، ومن تقديس العرب للثور أنهم جعلوه من حيوانات الجنة، إذ أن أهل الجنة حينما يدخلونها يُذبح لهم ثور الجنة، وحينما نزل آدم عليه السلام إلى الأرض أنزل الله إليه ثورا يحرث عليه (عجينة، 2005، صفحة 198)، وقدَّس العرب القدماء في شمال وجنوب الجزيرة العربية الثور، ونقشوه على جدرانهم ومسكوكاتهم وعلى معابدهم، واهتموا بأدق تفاصيله وخاصة رأسه (العميسي، 2013، صفحة 185).

وكان من قدسية الثور أنَّه كان يُعين الانسان العربي في ادراك الامور الغيبية، فإن تعبيره يدل على سيِّد شديد البأس كثير النفع والعون، يُذلل الصعاب لأرباب الزراعة والحرف، يشفي الأمراض ويدخل الفرح والسرور، كما يدل على الجنون (الدميري، 2003، صفحة 263)، ومما يجدر ذكره عن قدسية الثور عند

العرب القدماء فإنه قد اقترن الثور بعدد من الآلهة المسؤولة عن الخصب، وكان الثور الممثل الرئيس في طقوس الاستسقاء في أوقات الجدب طلبا للمطر، وكان أحد وسائل إدراك الغيب.

4.2. الناقة

قدَّس قسم من العرب القدماء الناقة، حيث قدَّست قبيلة إيَّاد ناقة أبي داود الايادي وكانت تسمى "**الزباء**" (الاصبهاني ، 2009، صفحة 407)، فكان بنو اياد يتبركون بها، فلما أصابهم الجدب انقسموا إلى فرق ثلاث، فرقة سلكت البحر فهلكت، وفرقة سلكت اليمن فسلمت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل فنزلوا على الحارث بن همام، والسبب في ذلك أنهم الزباء وقالوا ناقة ميمونة، فتركوها تنتقل بين العرب حتى بركت في فناء الحارث بن همام الذي كان أكرم الناس جوارا (سمار ، 2019، صفحة 209)، كما قدَّس قسم آخر من العرب القدماء "**الجمل**"، حيث عُثر على نقش ثمودي يصف بأن الجمل مقدَّس، وأنَّ الاقتصاد الثمودي قائم على الإبل، وما يُكد صحة ذلك ناقة نبي الله صالح التي أُحيطت بالجلال والتقديس بين الثموديين (سمار ، 2019، صفحة 209).

5.2. الغراب والأرنب

كان الغراب من الطيور المقدسة عند العرب القدماء، حيث حظي برهبة وخوف شديدين لأنَّه من الحيوانات المشؤومة عندهم، وكان أكثر الطيور تشاءم منه العرب لكثرة اسوداده، ويُقال أن العرب قدَّسوه لأنه هو من دل عبد المطلب إلى تحديد موقع بئر زمزم، إذ كان يطير أمامه وعبد المطلب يتبعه حتى حط على موضع البئر فحفره عبد المطلب فأخرج ماء زمزم (الأزرقي، 1996، صفحة 42)؛ كما حظيت الأرنب بالقداسة عند العرب، لأنهم كانوا يرون أنَّها تبعد القوى الشريرة، إذ اعتقدوا أنَّ تعليق كعب الأرنب يبعد عنهم العين ولا يُصيبهم السحر، ولا تقربهم الشياطين والجن (ابن أبي الحديد، 1978، صفحة 403).

كما قدَّس العرب حيوانات أخرى، لاعتقادهم أنَّ القوى الشريرة تنفر منها، فقد علَّقوا على الأطفال سن الثعلب وسن القطة لمنعهم من الاختطاف من طرف الجن وتمنع عنهم الحسد، كما قدَّسوا النسر واعتبروه الإله الذي يحمي الحدود، والأسد الذي يرمز للسيادة والقوة، وحيوان الوعل الذي يرمز للخصوبة (سابينا، 1999، صفحة 155).

3. تقديس النباتات والاشجار

للنبات أهمية بالغة في حياة الإنسان، إذ اعتمد عليها بشكل رئيسي في طعامه، كما استعملها في لباسه وبناء مسكنه، وصنع منها أدواته ذات الاستخدام اليومي، كما استخدمها للعلاج الطبي وأسلحة للدفاع بها عن نفسه، كما استخدمها في الطقوس والشعائر الدينية، ومن النباتات والأشجار المقدسة:

1.3. شجرة اللُّبان

وهو نبات من فصيلة البخوريات، يفرز صمغا ويسمى الكُندُر، وينمو في شبه الجزيرة العربية، وكان له دور كبير في التجارة الدولية آنذاك، وقد ساعدت تجارة اللُّبان على ثراء دول جنوب الجزيرة العربية، وقد

قدَّس العرب القدماء اللُّبان لاستعمال محصوله المهم في الطقوس الجنائزية والدينية وإذا أُحرق انبعث منه رائحة عطرية، كما قُدِّس لاستخداماته المتعددة الجوانب وخاصة في المجال الديني والدنيوي، ولاستخدامه في استطباب العديد من الأمراض (الدبعي، 1997، صفحة 287).

2.3. أشجار المر

وتنمو في مرتفعات شبه الجزيرة العربية، وكان يستعمل كبخور، تصنع منه الأدوية والمراهم والدهانات، لذلك قدَّسه العرب لقدرته على شفاء لكثير من الامراض وخاصة الجراح العميقة، كما كان يُستعمل في علاج بعض أمراض الحيوانات (البريهي، 2000، صفحة 234).

3.3. أشجار الكاسيا والقرفة

وتنمو في جنوب شبه الجزيرة العربية وهما من صنف واحد، إلَّا أن الكاسيا أكثر حدة من حيث الرائحة والطعم من القرفة، وفيما يتعلقُ بالقرفةِ والكاسِّيا، يُشيرُ ثيوفراستوس إلى أن: "**كلتاهما شجيراتٌ، ليست كبيرةَ الحجمِ ولكنَّها من حجمِ الشجيرات الضئيلة، ولها أفرع كثيرة وخشبية؛ وهذا ما يوردُه بعضُ الناس ويقول بعضُهم إنَّ القرفة هي شجيرة أو أقرب إلى أن تكونَ دونَ الشجيرة، وأنَّ هناك نوعين منها: الأول أسود، والآخر أبيض**" (ثيوفراستوس، 2017، الصفحات 69- 70).

وتكمن قُدسية أشجار الكاسيا والقرفة في أنهما يَدخلان في صنع الكثير من المستحضرات الطبية الموجهة للعلاج، وقد ساد اعتقاد عند بعض العرب القدماء: "**أن كل نبات موجه للاستطباب والتداوي والتعطر فهو مقدَّس**" (الدبعي، 1997، صفحة 289).

4.3. نبات السدر

حظي السدر بنوع غريب من التقديس في ديانات وثقافات الشعوب العربية القديمة، وقامت حولها العديد من الطقوس والمعتقدات الشعبية، فإن هناك مكانة خاصة للسدر وهي أعلى مكانا حتى من النخلة على الرغم من أن النخلة ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من عشرين آية، في حين لم يرد ذكر السدر إلا في أربع آيات فقط، ومن مظاهر التقديس أن تقوم جماعة من الناس بالنذر للسدر وهذا مظهر ليس حصري على بلد بعينه أو طائفة دون أخرى، وبعض أشجار السدر قد تحمل أسماء وهي من المظاهر التي انقرضت أو تكاد تنقرض، هناك كم كبير من مظاهر تقديس السدر كانت منتشرة لدى المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية القديمة بجميع أطيافه وطوائفه الدينية (الشميري، 2003، صفحة 2942).

5.3. الكروم

وقد أثرت قُدسية الكروم على العمارة والفن العربي القديم، حيث كانت ثمار الكروم وأوراقه من الموضوعات الزخرفية المحببة التي استخدمها الفنان العربي القديم بصور مختلفة على العناصر المعمارية وخاصة التماثيل، وقدست شجرة الكروم باعتبارها شجرة الحياة، لأنها كانت ترمز للخلود، كما تمثل رمزًا لانتصار الخير على الشر (عربش، 2004، صفحة 284).

وقد قدَّس العرب القدماء أنواعًا اخرى من الاشجار والنباتات مثل النخلة والقمح والشعير وغيرها، لاعتقادهم أنها كانت تطرد الارواح الشريرة، كما كانوا يعتقدون أنها تعالج العديد من الامراض وخاصة الجنون والصرع.

4. عبادة الجماد

نجد أنّ العرب القدماء كانوا يقدسون الجماد والنباتات والطير والحيوان، لأن هذا كان يدور حَولهم فيجدون في شيء منها مصدر القوة فيقدسونه، حيث كانوا يتأثّرون بما يُسمَّى التثليث في التقديس والعبادة، إذ كانوا يجْمَعون بين ثلاث ظواهر من الظواهر الطبيعية، وهي: القَمر، والشَّمس، والزُّهْرة، أو القَمر يقابِل ودّ عندهم، وكان صنماً، والشمس تقابل اللات، والزُّهْرة تُقابل العُزَّى. فالقمر والشمس والزُّهْرة، أو ودّ واللات والعُزَّى، وهذا التثليث كان شائِعاً عند عَرب جنوب شبه الجزيرة العربية، كما يروي ابن الكلبي في كتابه "**الأصنام**" كانوا يَرجِعون بآلهتهم إلى الثالوث المقدس، هو: القمر أو ود، والشمس أو اللات، والزُّهْرة أو العُزَّى (الدينوري، 1974، صفحة 270).

كما نجد العرب أيضاً يقدسون النار، ويظهر تقْدِيسهم للنار في إيقادها عند أحلافِهم، واستمطارهم السماء، وتقديم القرابين إليها، ونجدهم أيضاً إلى جِوار تقديسهم النباتات والجمادات والطَّير والحَيوان، يُقدسون النجوم والكواكب والنار، كما نجد العبادة الشائعة عند العرب القدماء في شبه الجزيرة العربية عبادة الأصنام والأوثان، وفَرْقٌ بين الصَّنَم والوَثَن، فالصَّنَم هو التمثال الذي يصنع على هيئة بَشَر أو نَبَات أو حَيوان أو ما إلى ذلك، وأمّا الوَّثَن فهو حَجَر يأخذه العَربيّ أو البَدوي ويتخذ منه رَمْزا للعِبادة. وكانت عِبادة الأصنام منتشرة بين العرب انتشاراً واسعاً، قد صوَّروها أو نَحتوها رَمزاً لآلهتِهم، وقد يَرون في بعض الأحجار والأشجار والآبار ما يَرمز إليهم (سابينا، 1999، صفحة 189).

خاتمة

بعد أن تم انجاز هذا البحث خلصت إلى مجموعة من النتائج هي:

- عرف العرب قبل الإسلام الطوطمية التي نشأت عندهم بروابط مقدسة ذات طبيعة دينية.
- قدَّس بعض العرب الحيوانات إمَّا لرهبة، وإمَّا لأهميتها في معيشتهم وحياتهم اليومية.
- حظيت أكثر الحيوانات بالتقديس وخاصة الثور الذي كان رمزًا للخصب والقوة.
- اعتقاد العرب بالطوطمية، وهذا ما ظهر في اسمائهم وفي أسماء أبنائهم.
- تحريم العرب قبل الإسلام من الزواج باهل الطوطم الواحد.
- قدَّس العرب قبل الإسلام النباتات والأشجار، وتمثلت قدسيتها في الاستعمال اليومي لها، وخاصة منتجاتها ذات الأهمية الاقتصادية والاجتماعية.
- اتخذ العرب قبل الإسلام أوثانا وقدسوها، وكانت هذه الأوثان على شكل جماد من حجارة وأخشاب وغيرها.

قائمة المراجع

- إبراهيم بن ناصر بن ابراهيم البريهي. (2000). **الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي** (الإصدار 1). المملكة العربية السعودية: وكالة الاثار والمتاحف.
- أبو الفرج الاصبهاني . (2009). **كتاب الأغاني**. (علي مهنا وسمير جابر) لبنان: دار الفكر.
- أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي. (1996). **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** (المجلد 2). (رشدي الصالح ملحس) بيروت، لبنان: دار الاندلس للنشر.
- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري. (1974). **كتاب النبات**. (برنهارد لڤين) فيسبادن، ألمانيا: دار نشر فرانز شتايز.
- اطونيوني سابينا. (1999). **الآلهة والبشر والحيوانات ، من كتاب اليمن في بالد مملكة سبأ**. (بدر الدين عرودكي) دمشق.
- اميل دركهايم. (2019). **الأشكال الأولية للحياة الدينية، المنظومة الطوطمية في استراليا** (الإصدار 1). (بعث رندة) الظعاين، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- توفيق برو. (2001). **تـاريخ العرب القديم** (الإصدار 3، المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الفكر.
- ثيوفراستوس. (2017). **الجزيرة العربية**. (عبد الله بن عبد الرحمان العبد الجبار، المحرر، و الحسين عبد الله) جامعة الملك سعود: دارة الملك عبد العزيز.
- جورج كندر . (2013). **معجم آلهة العرب قبل الاسلام**. بيروت، لبنان: دار الساقي.
- خزعل الماجدي. (2016). **علم الأديان**، تاريخة، مكوناتة، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله. (الإصدار 1). بيروت، لبنان: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع.
- زيدان جرجي. (2013). **تاريخ التمدن الإسلامي**. القاهرة، مصر : مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- زيدان جرجي. (2017). **تاريخ آداب اللغة العربية. المملكة المتحدة**، بريطانيا: يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور.
- زينب عبد التواب رياض. (2021). **دماء على بوابات العالم السفلي**. المملكة المتحدة، بريطانيا: يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور.
- سعد عبود سمار. (2019). **تقديس الحيوان وعبادته عند العرب قبل الإسلام**. (العدد 36، الجزء 1). مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، 197- 238.
- سلمان عبد العلي المالكي. (2007). **المدخل إلى الأنثروبولوجيا الإجتماعية** (الإصدار 1). العراق: مطبعة النجف الأشرف.
- سيد القمني. (2019). ربُّ **الزمان الكتاب وملف القضية**. المملكة المتحدة، بريطانيا: يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور.
- سيغموند فرويد. (1983). **الطوطم والتابو** (الإصدار 1). (بوعلي ياسين) اللاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- سيغموند فرويد. (1997). **الطوطم والحرام**. (جورج طرابيشي) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- طه الهاشمي. (1963). **تاريخ الأديان وفلسفتها**. بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.
- عبد الرحمان سعيد؛ الخليدي عبد الولي أحمد الدبعي. (1997). **النباتات الطبية والعطرية في اليمن**. صنعاء: مركز عبادي للنشر.
- عبد العزيز عزت. (1956). **أهم نظم الجماعات المتأخرة**. القاهر، مصر : مطبعة دار التأليف.
- عبد الواحد وافي. (1959). **الطوطمية أشهر الديانات البدائية**. مصر : دار المعارف.
- عز الدين ابن أبي الحديد. (1978). **شرح نهج البالغة**. (محمد أبو الفضل إبراهيم) بيروت، لبنان: دار الجيل.
- علي جواد. (1950). **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام** (المجلد 1). بغداد، العراق: دار التفيض.
- فضل محمد العميسي. (2013). **التجسيدات الحيوانية على الآثار في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) فترة ما قبل الإسلام**. الدار البيضاء، المملكة المغربية: كلية الآداب والعلوم للدراسات الإنسانية، جامعة الحسن الثاني المحمدية.
- كمال الدين محمد بن موسى الدميري. (2003). **حياة الحيوان الكبرى** (الإصدار 3). (أحمد حسن بسج) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

- كمال عبد الفتاح الشميري. (2003). **النباتات الطبية** (الإصدار 3). صنعاء: مؤسسة العفيف الثقافية.
- محمد ابراهيم الفيومي. (1994). **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**. بيروت، لبنان: دار الفكر.
- محمد عبد المعيد خان. (1937). **الأساطير العربية قبل الاسلام**. القاهرة، مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- محمد عجينة. (2005). **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**. بيروت: دار الفارابي للنشر.
- محمود عرفة محمود. (1998). **العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حياتهم**. القاهرة، مصر: دار الثقافة العربية.
- مسعد بري. (2010). **تطور الفكر الطوطمي (دراسة في الجغرافيا الاجتماعية)**. كلية الاداب والعلوم الانسانية، 81.
- منير ادوان ريمي عربش. (2004). **اكتشافات أثرية جديدة في وادي الجوف**. صنعاء: معهد الاثار اليمنية.
- نيلسن ديتلف. (بلا تاريخ). **الديانة العربية القديمة**. (فؤاد حسين)، مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- نيلسون ديتلف. (1949). **تاريخ العرب القديم**. (فؤاد حسين) القاهرة، مصر: مكتبة النهضة.

- Albert Gallatin .(1836) .**A Synopsis of the Indian Tribes Within the United States East of the Rocky Mountains and in the British and Russian Possessions in North America**. America: Archaeologia Americana.
- John Long .(1791) .Voyages and Travels of an Indian Interpreter and Trader**, Describing the Manners and Customs ,of the North American Indians**; With an Account of the Posts .London.
- Smith Robertson .(1901) .**Lectures on the Religion of the Semites: The Fundamental Institutions**. London: Adam and Charles Black.
- Sussy Gumo and Others .(2012) .**Communicating African Spirituality through Ecology: Challenges and Prospects for the 21st century** .Jounal Religions.